

مقومات الهوية الجزائرية من وجهة نظر المفكر عبد الله شريط.

Components of Algerian identity from the perspective of thinker Abdullah Cheriet.

أ.بوسكرة علي¹.

¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر).

a.boussakra@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/11/10 تاريخ القبول: 2024/02/06 تاريخ النشر: 2024/03/03

ملخص: نحاول في هذه الورقة البحثية طرح سؤال الهوية في الفكر الجزائري عند المفكر عبد الله شريط، من خلال البحث في مفهوم الهوية الجزائرية، وكذا البحث في أهم المقومات المؤسسة لها بأبعادها التاريخية والدينية والثقافية، لتحديد خصوصياتها، وكذا من خلال علاقة الهوية بالآخر خاصة إذا علمنا أن تسلط الآخر على الأنا جعل المجتمع الجزائري يعاني من التخلف والتأخر، التبعية والضعف، كل هذا شكل تهديدا لهويتنا وذاتنا وحتى وجودنا، الأمر الذي خلق نوعا من التوتر والقلق والخوف من علاقتنا مع هذا الآخر المختلف، فكان السؤال هو: كيف نحفظ هويتنا الجزائرية في ظل مركزية الآخر وتسلطه؟، لنبحث بعد ذلك عن الآليات المناسبة للتعامل مع الآخر من أجل الحفاظ على هويتنا الجزائرية حسب رؤية المفكر عبد الله شريط.

كلمات مفتاحية: الهوية الجزائرية، عبد الله شريط، الإسلام، اللغة العربية.

Abstract:

In this research, we attempt to raise the issue of identity in Algerian thought according to the thinker Abdullah Cheriet, through research into the concept of Algerian identity, as well as research into the most important components that establish it to determine its features and characteristics, as well as through the relationship of identity with the other, especially if we know that

the dominance of the other over the ego It made Algerian society suffer from backwardness, dependency, and weakness. All of this constituted a threat to our identity and existence, which created a kind of tension, anxiety, and fear in our relationship with this domineering other. The question was: How do we preserve our Algerian identity in light of the domination and dominance of others? Let us then search for the most important appropriate mechanisms that preserve our Algerian identity, according to the vision of the thinker Abdullah Cheriet.

Keywords: Algerian identity, Islam, Arabic language, Abdullah Cheriet.

*المؤلف المرسل: علي بوسكرة.

1. مقدمة

لكل أمة هوية خاصة تتقوم وتتأسس على مقومات خاصة كالعادات والتقاليد، الدين واللغة، التاريخ...، فالهوية بهذا المعنى تشير إلى التفرد والتميز، أي إلى الميزات والخصائص التي تميز أمة عن غيرها من الأمم، أي أن الهوية تعبر عن كل الميزات الفارقة والعلامات المميزة التي تمنح الخصوصية، التفرد والتميز، هذا التميز والاختلاف بين الأمم جعل الأمة العربية الإسلامية في محاولة دائبة دائمة للحفاظ على كل مقوم وأساس من شأنه أن يحفظ لها هويتها فيحفظ بذلك ذاتها، كما أن هذا التميز في الهويات خلق صراعات ونزاعات مع الذي نختلف معه لإثبات الأنا، خاصة أن ذلك المختلف (الأخر، الغرب) كان متسلطا ومستبدا، وبالتالي فإن الإنسان العربي المسلم عموما والجزائري خصوصا في صراعه مع الأخر المختلف على مر التاريخ كان من أجل إثبات كينونته ووجوده، فكانت الوسيلة لذلك هي التمسك بهويته والحفاظ عليها.

مقومات الهوية الجزائرية من منظور المفكر عبد الله شريط.

إن ما عاشه ويعيشه الإنسان العربي المسلم عموما والجزائري خصوصا من أزمات بسبب التخلف الثقافي والتأخر التاريخي، وبسبب استعمار الغرب تسلطه واستبداده، أضحى يشكل تهديدا يروم نخر كيان هويتنا ووطنيتنا وحتى وجودنا، الأمر الذي خلق نوعا من التوتر والقلق والخوف من علاقتنا مع هذا الآخر المختلف، فكان السؤال هو: كيف نحفظ هويتنا الجزائرية في ظل مركزية الآخر وتسلطه؟.

إذن يجب قبل البدء في معرفة العلاقة التي تجمع الأنا والآخر، وقبل معرفة انعكاسات سيطرة الآخر على الذات، يجب أن نعي وندرك أن وجود الآخر المتفوق والمتطور والمسيطر واقع وحقيقة، والاعتراف بذلك أمر واجب، والحل حسبنا لا يكمن في انكار هذه الحقيقة، بل يجب علينا أن نعرف هذا الآخر أولا، ونعرف ما يتفرد به ثانيا(مواطن قوته وضعفه)، لنعرف السبل والآليات التي من خلالها نستطيع مواجهته ثالثا، وبعد ذلك سوف ندرك أن العلاقة هي علاقتين علاقة ايجاب مرة وعلاقة سلب مرات عدة، لأن التصادم والصراع بين شيئين مختلفين أي بين الآخر والانا، أما أن يزيد التنافر والتناقض، وإما أنه يخلق نوعا من التقارب والتحاور في اطار التعايش الانساني، لكن على الأغلب أن العلاقة بيننا وبين الغرب هي علاقة شد وجذب، فالآخر المستعمر المستبد همه السيطرة والهيمنة على الهوية لتذوب وتلاشى ولن يكون لها وجود، أما الهوية فهمها أن تفلت من ذلك الخضوع وتلك السيطرة والهيمنة، ساعية لمجابهة تلك السيطرة بالتوجه نحو الخصوصية، نحو الحفاظ على مقوماتها التي صنعت كينونتها وذاتها.

وبالتالي فإن ما جعل اشكالية الهوية الجزائرية مطروحا بقوة من طرف المفكرين الجزائريين وفي طليعتهم المفكر عبد الله شريط هو ذلك التأثير الذي تركه تسلط الآخر على الأنا، فجعل المجتمع الجزائري يعاني من التخلف والتأخر، التبعية والضعف، فكان هذا السبب الذي قاد المفكر عبد الله شريط للبحث عن مكان وموقع للهوية في اطار تنازع(حرب) الهويات وتصادمها.

أ. بوسكرة علي

في هذا المقال سوف نتطرق الى سؤال الهوية في الفكر الجزائري عبد الله شريط أنموذجا، والذي نسعى من خلاله الى التركيز على الاشكالية التالية والتي هي: ما الهوية؟ وماهي أهم المقومات التي تشكل هويتنا من منظور المفكر عبد الله شريط؟ وعلى ضوء هذه الاشكالية تفرعت عدة إشكاليات أخرى أردنا من خلالها فهم وتفكيك طبيعة الموضوع انطلاقا من مشكلته الأساسية وهي: ما الهوية الجزائرية وما أبعادها؟ ما الأخر؟ وما هي العلاقة التي تجمع بين الأخر والهوية؟ وماهي الآليات المناسبة للتعامل مع الأخر للحفاظ على هويتنا الجزائرية؟ وما الأثر الفعلي الذي خلفه تقدم الأخر وسيطرته على مقومات الهوية الجزائرية كاللغة والدين والتاريخ؟.

ولمعالجة إشكالية هذا الموضوع والإجابة عنها ارتأينا إلى إتباع المنهج التحليلي الذي رأينا أنه الأنسب لدراسة مثل هذه المواضيع، ولقد اعتمدنا التحليل لأننا سنقوم في موضوعنا بتحليل قراءات المفكر عبد الله شريط، وبعد ذلك نحاول تصحيح بعض المفاهيم والقضايا المتعلقة بموضوع الهوية الجزائرية في اطار جدلية الأنا والأخر، هذا الأخر الذي كان هدفه دائما هو طمس كل ما يتعلق بثقافات الشعوب التي تصنع ذاتهم وهوياتهم وتحفظ وجودهم.

2. من هو عبد الله شريط: الاستاذ عبد الله شريط مفكر من "طراز الفاتحين في عالم المعرفة أحد أعلام النخبة التي تخرجت من المدرسة الوطنية الجزائرية وانخرطت في مشروعها الطموح الذي بدأ بتحرير الجزائر من ظلم وظلام الليل الكولونيالي الطويل" (مجموعة من المؤلفين، 2008، صفحة 6.5).

أدرك المفكر عبد الله شريط منذ شبابه المبكر أن الانتصار العظيم على العدو الفرنسي هو المفتاح والبداية التي "تمهد الطريق لاستكمال مشروع التحرير ومواجهة أثار الكونيالية الخطير، ألا وهو التخلف الموروث والمتراكم في الأذهان والسلوكيات الذي من مضاعفاته اعتقال العقل وتلويث الروح والغفلة عم كان يجري في أوروبا خلال عصر النهضة" (مجموعة من المؤلفين، 2008، صفحة 6)

مقومات الهوية الجزائرية من منظور المفكر عبد الله شريط.

فهم المفكر عبد الله شريط لم يتركز فقط على الاستقلال ومحاربه الاستعمار الغاشم بل كان همه أيضا المعركة الفكرية التي شغلت وما زالت إلى الآن عقل المفكرين العرب عامه والمفكرين الجزائريين على وجه الخصوص، فالوضع المتخلف الذي تعيشه الأمة العربية بسبب الاستعمار، والعجز، وبسبب التقوقع والانغلاق من جهة، والاستهلاك العشوائي لقيم الحداثة من جهة ثانية جعله (المفكر عبد الله شريط) يفكر بعمق في وضع الأمة العربية الإسلامية من أجل أن يستوعب مكان الخلل أولا، من أجل رسم معالم الطريق الذي به نؤسس للنهضة المرجوة. لم ينطلق المفكر عبد الله شريط من فراغ في مشروعه هذا والمتمثل في تحرير الجزائر من الاستعمار، وتحرير العقل العربي من التخلف والتبعية، بل استلهم الكثير من الأفكار من المفكرين الذين سبقوه" فنجد في كتاباته، ودروسه ملامح إمام النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس... كما نجد قرابه بينه وبين المفكر مالك بن نبي الذي شغلته هو الأخر أوضاع العرب والمسلمين" (مجموعة من المؤلفين، 2008، صفحة 8).

بهذا كله يكون عبد الله شريط متعدد المشاريب المعرفية، متنوع التخصصات، فهو واسع الخيال، بارع في اللغة مجتهد ومنضبط، يحب وطنه... "نافع بالقلم والكلمة والفكر لزرع المعرفة في أرض أرادها الاحتلال بوارا" (مجموعة من المؤلفين، 2008، صفحة 13).

وبذلك يعد المفكر عبد الله شريط من أبرز رواد التفكير الفلسفي في الجزائر، فهو أحد أعمدة الثقافة العربية الجزائرية، تميز بفكره الشامل ونضاله المستمر، كان حضوره بارزا من خلال طريقة طرحه لمشكلات أمته ووطنه، فهو الشاعر والأديب، والناقد، أسلوبه مبسط سهل، كتاباته دقيقة واضحة" فهو يضع الكلمات في مواضعها بعيدا عن الإطناب الممل، والاختصار المخل، كما أنه مترجم بارع، ورغم أنه يتقن اللغة الفرنسية إلا أنه لا يهجر إليها فكرا ولسانا، بل ظل طوال حياته

أ. بوسكرة علي

من أبرز المدافعين عن اللغة العربية في الجزائر، وفي سبيلها خاض معارك فكرية عاتية ضد دعاه الفرنسية والتغريب" (عبد الحق بالنور، 2011، صفحة 75).

ولد المفكر عبد الله شريط "عام 1921 بقرية مسكيانه بولاية أم البواقي، بدأ تعليمه الأول بمدرسة عمومية قرب مسكنه سنة 1927، وقبل ذلك كان يكابد طفولته الاجهاد من أجل تحصيل المعرفة بتعلم القرآن الكريم، حيث كان يذهب راجلا لتفقيه نفسه بتعلم الكلام الفصيح، فزاد القلب إيمانا، وتحصنت ذاته وفك لسانه، وفي عام 1932 انتقل إلى تبسة فانضم إلى جمعية العلماء المسلمين فحباه الله أن يتلمذ على يد شيوخها وعلمائها وكان الشيخ العربي التبسي أبرزهم وأهمهم الذي استمسك منه بالعروة الوثقى، ليحط الرحال بعد ذلك إلى تونس سنة 1938 فأقام بها عاكفا على تحصيل العلم ليتحصل على شهادته التطوع سنة 1946" (حمداوي، 2019، صفحة 1).

بعد كل هذا غير عبد الله شريط وجهته صوب الشرق ليحط الرحال "بسوريا حيث التحق بجامعة سنة 1947 حيث انتقى لنفسه الادب العربي ليتعلم أسسه ومبادئه" ليروض نفسه بعد القوافي، بعد التشبيب والشكوى على حكمة الفلسفة، وشكيمة العقل، وفصاحة التفكير، وقيود المنطق، فيختار الفلسفة بنفس الجامعة ليتخرج منها بشهادته ليسانس سنة 1951" (مجموعة من المؤلفين، 2008، صفحة 16).

وعند اندلاع ثوره التحرير لم يتأخر عبد الله شريط البتة في الالتحاق بصفوفها، بل كان سابقا مع الكثير من إخوانه في تلبية نداء الوطن من أجل إرجاع الحق لا صحابه، فكافح بكلمته وقلمه من أجل استقلال وطنه الجزائر "فكان لسان جبهة التحرير الوطني، ولعل من أعظم وأجل أعماله الإعلامية في تلك المرحلة مئات المقالات لخيرة الاقلام الجادة التي ترجمها الاستاذ عبد الله شريط الى اللغة العربية

مقومات الهوية الجزائرية من منظور المفكر عبد الله شريط.

ونشرها في جريدة الصباح، التي جمعت فيما بعد في ثمانية عشر مجلدا بوصاية وزاره المجاهدين الجزائرية" (مجموعة من المؤلفين، 2008، صفحة 17.16)..

هكذا أنذر المفكر عبد الله شريط حياته خادما لوطنه وأمتة العربية الإسلامية، منددا بالأوضاع المزرية التي كانت تعيشها الجزائر، مقاوما بفكره وقلمه كل أشكال التسلط والاضطهاد التي مارسها الاستعمار الفرنسي على أبناء وطنه، مضحيا بنفسه وحياته من أجل إثبات أن الجزائر كيان لها من المقومات ما يجعلها رائدة، مستقلة بنفسها لا غيرها، فكان مدافعا عن الهوية الجزائرية داعيا للحفاظ على أسسها ومقوماتها، واقفا أمام كل مد يريد تغريبها عن ما تملك.

بهذا كله أعطى المفكر عبد الله شريط تشخيصا آخرًا مختلفا لمشاكل وطنه الجزائر خاصة، وأمتة العربية الإسلامية عامة، مستلهما من الواقع نقطة الانطلاق في ايجاد الحلول المناسبة لأنه يرى أن مقياس تطور الأمم يكون بتطور ثقافتها ولغتها، ويكون أيضا بالحفاظ على هويتها وكيونتها.

3. مقومات الهوية الجزائرية من منظور عبد الله شريط:

1.3 مفهوم الهوية: كما هو معلوم فإن مفهوم الهوية من المفاهيم التي تتسم بالتعقيد والتعدد سواء من حيث الدلالة أو من حيث الأبعاد، ورغم صعوبته إلا أنه حظي بأهمية كبيرة في الدراسات الحديثة والمعاصرة، فشكل مفهومها حقا ومجالا خصبا للجدال والنقاش الفكري بين المفكرين والباحثين، وهذا الذي أشار إليه المفكر صمويل هنتجتون في كتابه «من نحن، المناظرة الكبرى حول امريكا»: " بأن مفهوم الهوية هو أمر لا يمكن الاستغناء عنه، وأنه غير واضح بالقدر نفسه، والهوية متعددة الأوجه، ومن الصعب تعريفها"، كما وصف أكبر عالم للهوية في القرن العشرين ايريك اريكسون Erik Erikson مفهوم الهوية: "بأنه منتشر في كل مكان ولكنه غامض ولا يمكن سبره" (هنتجتون، 2009، صفحة 55).

كما سخر ويسلتر Leon wieseltier من إعجاب المثقفين من مصطلح الهوية في كتابه ضد الهوية، فقال عنها في كتابه الثاني كاديش Kaddisch أن: "الهوية مثل الخطيئة، التي قد نعارضها كثيرا، ولكننا لا نستطيع أن نهرب منها" (هنتجتون، 2009، صفحة 55). والسؤال المطروح في هذا المقام هو: إذا كان مفهوم الهوية مفهوم صعب ومعقد وغير واضح فكيف يمكن لنا أن نضبط مفهومها؟.

والإجابة هي أن الباحثين اختلفوا في ضبط مفهومها لكن اتفقوا أن موضوعها هو: "شعور فردي وجماعي بالنفس، وهي نتاج للوعي بالذات، بأنني أو أننا نمتلك صفات مميزة كهوية تجعلني أختلف عنك، وتجعلنا مختلفين عن الآخرين" وهذا المعنى الفالهيوية تدل على ما يملكه هذا الشخص (الفرد) ويتفرد به عن الآخرين، فتعني بذلك التفرد والتميز والاختلاف، ويكون ذلك التفرد والاختلاف نتيجة عوامل اجتماعية أو ثقافية أو دينية... فالخصائص والمميزات ترتبط بالاطار الثقافي الذي يعيش ضمنه الفرد، وهذا ما جعل الهوية تتقوم وتتأسس عن الجدلية التي تجمع الفرد بثقافته وبمجتمعه، فهي تتشكل في اطار العمليات الاجتماعية لأنه "بمجرد أن تبلور الهوية، يتم حفظها أو تعديلها، أو حتى تشكيلها، من خلال العلاقات الاجتماعية" (علوط الباتول وبن قومار كريمة، 2018، صفحة 170).

والهوية تعني أيضا "الذات والأصل والمرجعية، وهي مأخوذة من هو بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته، أي هوية الشيء تعني ثوابته وأيضا مبادئه، ويكفي طرح السؤال التالي لبيان ذلك: من أنا؟ من نحن؟ من هو؟ وهكذا" (زغو محمد، 2010، صفحة 94).

ويقول الدكتور أحمد عفيفي في مقال معنون ب"اللغة المؤسس الحقيقي لقيم الهوية والانتماء:" أن اللغة هي الهوية الكبرى التي تنضوي تحتها الهوية الفرعية الأخرى من دين أو عشيرة أو جماعة ما، فتحديد الهوية يعزز بواسطة اسم اللغة التي تفي بالوظيفة الرمزية للتمثيل على المستويين الاجتماعي والفردية، إذ لا يمثل

مقومات الهوية الجزائرية من منظور المفكر عبد الله شريط.

الانتساب الى العشيرة أو الجماعة فقط وانما يمثل كل أنواع الولاء: الى الدين والى الزعيم السياسي، الى الايديولوجيا" (أحمد عفيفي، 2019، صفحة 1) من هنا نقول اذا وجدت لغة الانسان وجدت هويته، واذا ضاعت لغته ضاعت هويته، فلا هوية دون لغة، ولا وجود للإنسان دون لغة، فاللغة هي التي تصنع فكر الانسان وثقافته وكيونته، وهي التي تحفظ هويته ووجوده، وبهذا المعنى فالهوية هي كما عبر عنها جاك دريدا" الهوية ليست شيئا معطى، سليما كان أو مصابا، لأن ما يبقى هو مسار المكابدة اللامنتهي والغريب لإثبات الهوية، أو لتحقيق الذات" (جان غراندان، 2007، صفحة 170) وبهذا فاللغة هي التي تثبت وجود الانسان وهويته.

أما المفكر محمد عمارة فيقول: "إن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تترك مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة..." (محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، 1999، صفحة 6) وبهذا فالهوية تجمع ثلاث عناصر مهمة في تركيبها: الدين، اللغة، التاريخ، وهذا ما عبر عنه في قوله: "الهوية دائما جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى" (محمود سمير المنير، 2000، صفحة 146).

ويقول المفكر أمين معلوف في كتابه الهويات القاتلة: "أتوقف هنا لأسأل؟ كم عدد أمثال الذين يشاطرونني هذه العناصر المتفرقة التي شكلت هويتي وصممتمها؟ قلة صغيرة وربما لا أحد وبالتأكيد هذا ما أريد أن أشدد عليه، فبفضل كل هذه الانتماءات، إذا أخذت بشكل منفصل، يوجد نوع من القرابة يصلني بعدد كبير من أمثالي، وبفضل هذه المعايير ذاتها أمتلك هويتي الخاصة التي لا تختلط مع أية هوية أخرى.... واذا عممت بصعوبة أقول بأن لي انتماءات مشتركة مع كل كائن حي ولكن لا يوجد كائن في الكون يشاطرنني كل انتماءاتي ولا حتى جزءا كبيرا منها... من عشرات المعايير التي يمكنني أن أعرضها تكفي حفنه منها لتثبيت هويه الخاصة بوضوح،

هويتي المختلفة عن هوية الآخر وحتى لو كان ابني أو والدي" (أمين معلوف، 1999، صفحة 20.21). وبذلك فالهوية عند المفكر أمين معلوف تعني الاختلاف عن الآخر والتميز عنه، وهي كما يعبر عن ذلك هويتي هي التي تعني أنني لا أشبه أي شخص آخر. واستخلاصا من التعاريف السابقة فالهوية بشكل عام تعني مجموعة الخصائص والمميزات التي تميز إنسان عن إنسان آخر، وقد تكون هذه المميزات عامة يشترك في الجميع، وقد تكون خاصة ينفرد بها هذا عن ذلك، ومعنى هذا أن الهوية تارة تكون أساسا للتشابه والتماثل، وتارات تكون أساسا للتمايز والتفرق والاختلاف. كما قلنا سابقا في عنصر (عبد الله شريط شخصيه ومسار) أن المفكر عبد الله شريط متعدد المشارب المعرفية، متنوع التخصصات، واسع الخيال، بارع في اللغة، مجتهد ومنضبط، مسلم، وطني إلى حد النخاع... كل هذه الصفات التي تميز بها جعلت منه ذا شخصيه قويه وثقافة عالية، كما أن كل هذه الصفات استلهمها شريط من الثقافة العربية الإسلامية (من اللغة العربية والاسلام)، واستلهمها كذلك من الثقافة الجزائرية بحكم التكوين الذي تلقاه في صغره، فهذه الصفات جعلت منه يقول بأن مقومات الهوية الجزائرية لا يمكن أن تخرج عن مقومات الهوية العربية الإسلامية، فهذه من ذلك رغم وجود بعض التمايز والاختلاف "فهوية الإنسان الجزائري المسلم منذ فتره الاستعمار إلى غايه فتره الاستقلال تتشكل من مقومات أساسيه جوهريه أهمها: العروبة واللغة العربية، الوطنية، القومية، الدين الاسلامي، الثقافة بكل ما تحمله من عادات وتقاليد، وكل هذه الأبعاد تعد حلقات متواصلة ومتداخله فيما بينها" (شهرة درسوني، 2020، صفحة 90) هنا يظهر مدى ارتباط المفكر عبد الله شريط بمقومات أمته العربية الإسلامية ووطنه الجزائر كذلك، حيث يرى أن اللغة العربية والدين الإسلامي من أهم العناصر المركزية والجوهريه في تكوين الهوية الجزائرية، بل هما العنصران الأساسيان لأي ثقافه أو حضارة تريد البقاء و الاستمرارية، ففوة الثقافة من قوة الارتباط بهذين العنصرين، وكل هذا هو الذي

مقومات الهوية الجزائرية من منظور المفكر عبد الله شريط.

يصنع الحضارات ويصنع تفوقها، ولننظر مثلا الى اللغة الإنجليزية اليوم وسيادتها على العالم، فاللغات التي تجاوزها أصبحت عاجزة أمامها لا تستطيع مجاراتها أو حتى اللحاق بها، بل إن قوة اللغة الإنجليزية أدى ببعض اللغات إلى الخروج" من حياه أهلها، وبخروجها فقدت الإنسانية تراثا هائلا من الثقافات لصالح أحاديه اللغة" (بكار هوارية و سواريت بن عمر، 2022، صفحة 241). وعليه يجب علينا أن نهتم بلغتنا العربية لأن عدم اهتمامنا بها يزيد من ضعفها، وضعفها يؤدي إلى ضعفنا، وإذا أردنا أن نحترم ذاتنا وكيونتتنا وهويتنا فلا بد أن نحترم لغتنا العربية، لأنه لا يمكن أن ندافع عن هويتنا ونحن لا نحترم ذاتنا وخصوصياتنا. هنا نتساءل ونقول: كيف تكون اللغة العربية وسيلة من وسائل الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية حسب المفكر عبد الله شريط؟.

2.3 اللغة العربية كمقوم أساسي للهوية الجزائرية: إن اللغة ككل والعربية على الخصوص وعاء الثقافة وأداة الاتصال بين الماضي والحاضر وهي "من أهم المقومات لأي شعب، ولا يستطيع الإنسان مهما كان أن يقف على كنوز الفكر الإنساني من تاريخ وشعر ونثر بدون اللغة، فاللغة لها وظائف للفرد ووظائف للمجتمع وهي جزء لا يتجزأ من السيادة والحفاظ عليها هو حماية لهذه السيادة" (محمد ضياء الدين خليل ابراهيم، 2016، صفحة 2) فاللغة هي المحرك الأساسي للتواصل بين المجتمعات، كما أنها وسيلة للتفاهم والاحتكاك فيما بينهم ولا سبيل لمعرفة التاريخ والفكر القديم دون اللغة فهي التي تساهم في الحفاظ على تاريخنا وماضينا من التلاشي والاندثار، وهذا فاللغة العربية بمنظار المفكر عبد شريط هي اللغة الأم للعرب عامة والجزائريين على وجه الخصوص، وهي لغة المسلمين استخدمها الانسان العربي منذ القدم، وهي منتشرة تقريبا في كل ربوع العالم لديها تاريخ حافل بالإنجازات والأحداث لها مكانة خاصة ولديها طابع يميزها عن باقي اللغات، وهذا لا يعني أن لا تطورها" لأن عدم تطويرها يعرضها للانحسار والركود، كما حصل للغات الصينية

واليونانية والعبرية واللاتينية" (بكار هوارية و سواريت بن عمر، 2022، صفحة 246).

واللغة العربية أيضا هي اللغة التي نفهم بها " القرآن والشريعة والعبادات وهي لغة الفقه والعلم والثقافة" (محمد عمارة، 1998، صفحة 57) وبهذا فاللغة وسيلة بها يعبر الانسان المسلم عن ثقافته وحضارته، ومن خلالها يتعلم الانسان دينه، وهي التي تجعله متميزا منفردا عن الآخرين، كما أنها وسيلة بها يصلح المجتمع ويتطور ويعيش في استقرار دائم، كان لها الدور الفعال والكامل الذي ساعد الحضارة العربية الإسلامية في وقت مضى للانتشار والتطور والتقدم، يقول المفكر محمد عمارة أن اللغة العربية: "لسان الإسلام ووحيه المعجز، والتي ضمن لها القرآن الكريم امتيازاً على كل لغات الدنيا، وارتباطها بالقرآن الكريم ضمن لها وحقق فيها قدراً عظيماً من الإطلاق الذي يتميز به الدين ونبأ السماء العظيم" (محمد عمارة، 1999، صفحة 9) وهذا معناه أن اللغة لها علاقة بالقرآن و به أصبحت تحتل مكانة متميزة على خلاف باقي اللغات، فاللغة العربية لغة محفوظة، كما أنها لغة العلم والثقافة، وبها تطورت الحضارة العربية الإسلامية وأصبح لها مكان في وسط التاريخ البشري.

وقد تعرضت اللغة العربية ولا زالت تتعرض لأشرس هجوم سواء من الشرق أو من الغرب بواسطة أداة العولمة محاولين من ورائها طمس الهوية العربية وذلك بالقضاء على اللغة العربية، فثقافة العولمة أرادت تهميش اللغة العربية " وإحلال اللغات الأجنبية محلها خاصة اللغة الإنجليزية التي أصبح المجتمع الثقافي اليوم يدعوها باللغة الحية، لغة العلم والتقدم" (زغو محمد، 2010، صفحة 97) إن العولمة تسعى لجعل اللغة الإنجليزية لغة العالم، والذي زاد انتشارها هي وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي والتلفزيون والحاسوب والهاتف...، ما جعلها وسيلة للعالم الغربي في نشر المنتجات الغربية وكل ما هو وهمي ونشر الأكاذيب،

مقومات الهوية الجزائرية من منظور المفكر عبد الله شريط.

وهذا كله تحت ما يسمى بالدعوة إلى التطور والانفتاح ومواكبة العصر، وتميرير أن اللغة الإنجليزية لغة عالمية، وهي وسيلة ومسار انفتاح شعوب العالم على بعضهم.

كل هذه الأسباب جعلت المفكر عبد الله شريط يهتم باللغة العربية خاصة في ظل سيطرة اللغة الإنجليزية وكذا اللغات الأجنبية الأخرى، هذه السيطرة التي تولدت من اهتمام المثقف الانجليزي أو الفرنسي بلغته وثقافته بلده، فزاد لغته قوه وزاد ثقافته تطوراً وتقدماً، من هنا يرى المفكر شريط أن عدم اهتمامنا بلغتنا يزيد من ضعفها، وضعفها يؤدي إلى ضعف ثقافتنا وتهميش مثقفينا، وإذا أردنا أن نحترم ذاتنا وكيونتنا وهويتنا فلا بد من احترامنا للغة العربية، لأنه لا يمكن أن ندافع عن هويتنا ونحن لا نحترم ذاتنا، من هذا المنطلق تكون اللغة العربية حسب شريط وسيلة تطور الثقافة، وإذا ما أردنا التقدم فما علينا سوى أن "نثور ضد من يقف في وجه اللغة العربية، وهذه الثورة لن تكون إلا برفع المستوى الثقافي للغة العربية، وكذا التربية، الأدب والتاريخ..." (عبد الله شريط ، 1981 ، صفحة 155) وليس معنى هذا أن نغلق على أنفسنا ولا نتعلم اللغات الأجنبية التي تفتح لنا أبواب التعرف على العالم أولاً، والتعرف على العلوم والمناهج التي أنتجت خارج أمتنا العربية وبلدنا الجزائر ثانياً، وليس معناه أيضاً أن نجعل من اللغة الأجنبية مفتاح كل نهضه وكل تقدم فهذا غير مقبول ومرفوض وغير منطقي حسب عبد الله شريط لأن اللغة حسبه ليست فقط وسيلة لنقل المعارف والمناهج والعلوم، كما ليست وسيلة للتواصل والتخاطب بين الأفراد والمجتمعات، بل إن اللغة وسيلة لنقل القيم ونقل الأفكار والثقافات... الخ، وبها يتم بناء الإنسان داخل مجتمعه، فعن طريقها نفكر، ونفعل ونتعلم ونعبر عن ثقافتنا وانتماءاتنا، وعن طريقها نثبت كيونتنا ونحفظ هويتنا.

من خلال كل هذا فاللغة مرتبطة بثقافة الأفراد ارتباطاً وثيقاً جداً، بل إن الثقافة تعجز وتضعف بعجز وضعف اللغة، ومن ضعفت لغته تأخر وتخلف عن

أ. بوسكرة علي

الركب الحضاري، وجعل ذاته قابلة للكسر، ورهن هويته للذوبان والانحلال والتلاشي، والحل حسب المفكر شريط هو الاهتمام باللغة العربية، بل إن معركه اللغة العربية في عصرنا هذا أصبحت أشد صعوبة وتعقيدا من معركه السلاح، يقول شريط: " أن معركه اللغة معركة لا يهدم فيها عدو بل يهدم جزء من نفسه... إن كل ما نتخبط فيه اليوم من مشاكل اللغة العربية من صنع قرون الانحطاط" (عبد الله شريط ، 1981 ، صفحة 15) وعليه يرى عبد الله شريط أن نجاح نهضتنا من نجاح اهتمامنا بلغتنا، ولكي ننجح لابد من مراجعته أنفسنا ونهتم بلغتنا لا أنها تمثل أساسا جوهريا لهويتنا الجزائرية خاصة والعربية الإسلامية عامة، ولابد من مراجعته بعض قواعدها التي أصبحت غير صالحة لزمنا الحالي، وضرورة استبدالها بقواعد جديدة تتوافق بما هو موجود في عصرنا الحالي هو أمر نراه مستعجل، يجب علينا تطويرها، إيضاها، تبسيطها ليكون لها فعالية كتلك الموجودة اليوم في اللغة الإنجليزية، ولعل السبب الذي جعل المفكر عبد الله شريط يتجه في هذا الاتجاه هو أن: " اللغة العربية أيضا كحال الجزائر التي خرجت من الاستعمار مثلما خرجت الجزائر كذلك، وبالتالي فهي تعيش حالة من التدهور والضعف" (عبد الله شريط، 1984 ، صفحة 32).

إن اللغة العربية حسب المفكر عبد الله شريط تحتاج إلى إعادة نظر لأن تطورها يؤدي إلى تطور المجتمع الجزائري، وإعادة النظر في قواعدها وطرق تدريسها هو الذي من شأنه أن يضمن لها مكان بين اللغات المتطورة" فلا يعقل أن تكون اللغة راقية والمجتمع الذي تحيا فيه متخلفا، ولا يمكن أن تزخر هذه اللغة بمصطلحات واشتقاقات وتراكيب تسائر عجلة الحضارة في مجتمع أُمي لم يبلغ شيئا من هذا المستوى الحضاري" (بكار هوارية و سواريت بن عمر، 2022 ، صفحة 246)، وبهذا فاللغة العربية كمقوم أساسي للهوية الجزائرية يمثل عند المفكر عبد الله شريط مسألة جد هامه، فاللغة عنده هي كينونة المجتمع، وهي أوسع من تحصر في أنها

مقومات الهوية الجزائرية من منظور المفكر عبد الله شريط.

وسيله لنقل المعلومات والمعارف، ووسيله تخاطب وتواصل، بل إن اللغة حسب المفكر عبد الله شريط مفتاح المجتمع نحو التقدم والتطور ثم التحضر، وهي مفتاح كل ثقافة لأنها تعكس سلوكيات أفرادها وأفعالهم، لهذا فالحفاظ على اللغة العربية وتطويرها مقترن بالتخلص من التخلف الثقافي والتأخر الاقتصادي الذي يعاني منه المجتمع الجزائري، وكل هذا من شأنه أن ينتج لنا ثقافه عالميه تستوعب الماضي وتفتح على الحاضر، وهذا ما من شأنه يحفظ هويتنا ويجعلها قويه في وسط معركه الهويات اليوم.

3.3 قوة الهوية من قوة ارتباطها بالدين الإسلامي عند عبد الله شريط: وكما أن الحفاظ على اللغة وتطويرها ينتج ثقافه عالميه تحفظ كينونتنا، فإن الدين الاسلامي يعتبر هو الآخر عنصر أساسي في الحفاظ على الهوية الجزائرية، وحفظه من حفظها، فالدين الإسلامي من هذا المنطق يعتبر أحد مكونات الثقافة العربية الإسلامية، وأحد عناصرها الأساسية المكونة للهوية الإسلامية، التي كما قلنا أنها تقوم على أسس من بينها: اللغة، التاريخ، الاسلام...، وبمجموعها تشكل الهوية الإسلامية، وقد تضيع هذه الهوية إن ضاع وابتعد الفرد عن دينه، وتاريخه، وهمش لغته ولم يهتم بها. يقول الله تعالى: "فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (سورة التوبة، الآية 122)، وقال جل وعلا: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ" (سورة آل عمران، الآية 110). وخيرية هذه الأمة نابعة من استقلاليتها التشريعية والعقائدية والسلوكية عن غيرها من الأمم الأخرى، وخيرية هذه الأمة مرهون ومشروط بالحفاظ على الدين الاسلامي بقراءته وفهمه، والوعي به، والعمل بتعاليمه، لأن الدين الاسلامي في الحضارة العربية الإسلامية كان الأساس الذي طورها وجعلها رائدة مزدهرة ولو أمعنا النظر قليلا لوجدنا أنه بمجيء الإسلام بعثت حياة جديدة في أمة العرب انتقلت من خلالها من الظلمة إلى النور، ومن التبعض إلى النظام، ومن

أ. بوسكرة علي

اللاعقل إلى العقل...، ويرجع هذا للمبادئ والقيم التي يحملها وكذا للخصائص والمميزات التي ينفرد بها عن الأديان الأخرى والتي من أهمها "التوحيد"، "العالمية"، "الشمولية"، "القصدية"... الخ، هذه المميزات والخصائص كانت منطلقا للإنسان المسلم نحو التأسيس لمعرفة اسلامية حقة (صحيحة) نادت بحرية الفكر، شجعت العلم، دعت إلى المساواة بين الناس، اهتمت بالعقل، نقلت الإنسان والبشرية جمعاء من الضيق إلى الفسحة ومن العنصرية إلى الوحدة... كل هذا أنتج الحضارة العربية الإسلامية وجعلها رائدة في ذلك الوقت.

كما أعطى الدين الاسلامي أهميه كبرى للعقل، فبه عرف المخلوق خالقه، ولولاه لما كانت الاستمرارية والتعاون، ولولاه لما تميز الانسان عن الحيوان، والدين في الحياه الإسلامية منذ ظهوره إلى غايه اليوم قد ملك الإنسان معيارا خلقيا يتمثل في التسامح والتعايش مع مختلف أفراد المجتمع على اختلاف أديانهم ونحلهم وعقائدهم، وبفضل الدين الاسلامي تطور الفكر فهو الداعي دوما إلى العلم والإيمان به من أجل الوصول الى الحقيقة، والعقل هو الموصل لها، ففي الكثير من النصوص الدينية نجد ارتباطا وثيقا بين العلم والعقل، أفلا تعقلون، أفلا تبصرون، ألا تعلمون... وبالتالي فالنقل يكمل العقل والعقل يكمل الدين ولا وجود للتناقض بينهما كم يزعم البعض.

ولو نرجع الى المراحل الاولى من تأسيس الدولة الإسلامية نجد بأن الدين الاسلامي كان الملهم الدائم إلى استعمال العقل والتفكر في ملكوت الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فكل من يتهم الدين الاسلامي حسب المفكر عبد الله شريط فهو خاطئ مخطئ بعيد عن الصواب، والعكس هو الصحيح "لأن الدين الاسلامي كان دائما في دور التنشيط والحركية، وكان دوما مصدرا للتغيير في الحياه الإسلامية" (عبد الله شريط، 1975، صفحة 463) وبذلك يكون الدين الاسلامي قد ساهم بطريقه أو أخرى في نقل المجتمع العربي من حالة الظلام إلى حاله النور، وفي هذا

مقومات الهوية الجزائرية من منظور المفكر عبد الله شريط.

يقول المفكر عبد الله شريط "أن عملية التغيير الاجتماعي ينبغي أن تنطلق من الذات أو الضمير الإنساني والإسلام هو الذي يحقق هذا التغيير" (شهرة درسوني، 2020، صفحة 92).

نقول إن الاستعمار التي تعرضت له الجزائر ومعظم الدول العربية والإسلامية كان له الدور البارز في محاولة طمس اللغة العربية وطمس معالم الدين الإسلامي، فالاستعمار الفرنسي كان يجعل كل من يتعلم اللغة العربية مجرماً ويجب المعاقبة عليها، حتى أنه وضع مخططاً "لتفكيك أبناء الأمة وفصل إسلامهم عن اللغة العربية وربطهم بفرنسا وجعل لغته محل لغتهم" (محمد عمارة، 1998، صفحة 31) إن الاستعمار فرض لغته على الدول التي استعمرها، حتى أنه كان يعاقب كل من يحاول التكلم والتعلم اللغة العربية، محاولاً الفصل بين الأمة ودينها ولغتها بغية زوال هويتها وانحلالها، لتتلاشى الأمة بعد ذلك وتزول، ولن تقوم لها قائمة بعد ذلك، فالاستعمار حاول بشتى الوسائل "إحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصحى وذلك حتى تنقطع أوصال الأمة وتقوم القطيعة المعرفية بينها وبين دينها وتراثها، فتفقد إسلامية هويتها وذاكرتها التاريخية" (محمد عمارة، 1999، صفحة 18) وهذا فالاستعمار حاول فرض لغته والغاء اللغة العربية وتشويه الدين الإسلامي ليقطع الصلة بين الأمة وهويتها.

كما يرى عبد الله شريط أن من الأسباب التي جعلت فرنسا والغرب عامة يحتل الجزائر وبلاد المسلمين ويطمس هويتهم هو الجهل بالإسلام وقيمه وشريعته وأحكامه، وعدم إطلاع المسلمين على دينهم والبحث في تاريخه وتقليدهم للغرب، فلما دخلت الحضارة الغربية إلى البلاد الإسلامية حاولت طمس لغة وعادات ودين المسلمين...، ورغم كل هذا إلا أن بعض المفكرين الذين يدعون انتمائهم للإسلام وللحضارة العربية اعتبروا الغرب هو صاحب الحضارة وبه نتطور ونحقق النهضة، فالبعض يعتقد أن تجديد حال الأمة يكون بالتوجه للغرب فله الدور الفعال في

أ. بوسكرة علي

مواجهة التخلف والتأخر الذي أصاب الأمة العربية الإسلامية، وهذا هو الجهل بعينه حسب المفكر شريط، حتى أن هناك من خالفه ورأى أن فضل الغرب على العالم الإسلامي لا يمكن نكرانه، فالغرب له من الانجازات التكنولوجية والعلمية والثقافية ما يساعد المسلمين على تسهيل فهم دينهم، ونقلهم من حالة الظلام الى حالة النور.

4. خاتمة:

نستنتج في ختام بحثنا أن المفكر عبد الله شريط قد تطرق في مشروعه الفكري التحرري إلى قضية الهوية وأبعادها، فحاول أن يبرهن أنه من غير الدين واللغة تصبح الثقافة مهددة، خاصة في ظل التطور الهائل لوسائل الإعلام ووسائل الاتصال، التي أثرت بشكل أو بآخر على الجزائر والأمة العربية جمعاء، فالإنسان العربي عموماً والجزائري خصوصاً أصبح يقلد كل ما يجده في العالم الغربي، أصبح يتكلم باللغة الأجنبية، ويفهم دينه كم فهم الإنسان الغربي دينه، تاركا بذلك لغته العربية ودينه الإسلامي، عاداته وتقاليده وثقافته جمعاء، وهذا كله بسبب اجتياح العولمة للغة والثقافة والدين.

وبهذا فالمفكر عبد الله شريط من خلال طرحه لمشاكل بلده وأمتة حاول إبراز معالم الهوية العربية الإسلامية عامة والجزائرية خاصة، مدافعا عنها، مبيّنا أن عدم اهتمامنا بلغتنا زاد من ضعفها، وضعفها هو من أدى إلى ضعف ثقافتنا وتهميش مثقفينا، وإذا أردنا أن نحترم ذاتنا وكياننا وهويتنا حسب شريط فلا بد من أن نحترم لغتنا العربية وديننا الإسلامي، لأنه لا يمكن أن ندافع عن هويتنا ونحن لا نحترم ذاتنا وخصوصياتنا التي تميزنا عن الأقوام الآخرين.

كم بين المفكر شريط أن الحفاظ على الهوية يكون بالحفاظ على اللغة وتطويرها، وهو الذي من شأنه أن ينتج لنا ثقافه عالميه تحفظ كياننا، كم بين أن الدين الإسلامي هو الآخر عنصر أساسي وفعال في الحفاظ على الهوية الجزائرية،

مقومات الهوية الجزائرية من منظور المفكر عبد الله شريط.

وحفظه من حفظها، والحفاظ على الدين الاسلامي يكون بقراءته وفهمه، والوعي به، والعمل بتعاليمه، لا أن نبقى متفرجين عليه، وهذا الذي كان عليه الفلاسفة الاوائل الذين اهتموا بالدين الاسلامي، فكان الأساس الذي طور الحضارة العربية الاسلامية وجعلها رائدة مزدهرة متحكمة في مسار الفكر الإنساني لعدة قرون.

5. قائمة المراجع:

* القرآن الكريم.

*أحمد عفيفي. (افريل, 2019). اللغة المؤسس الحقيقي لقيم الهوية والانتماء. صفحة 21.

*أمين معلوف. (1999). الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة. (نبيل محسن، المترجمون) دمشق(سوريا): ورد للطباعة والنشر والتوزيع.

*بكار هوارية و سواريت بن عمر. (31 ديسمبر, 2022). واقع الثقافة عند عبد الله شريط. مجلة أبعاد، مج9(العدد2)، الصفحات 239-253.

*جان غراندان. (2007). المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا (ط1). (عمر مهيبيل، المترجمون) الجزائر: منشورات دار الاختلاف.

*حسن معمري عبد الحق بالنور. (31 12, 2011). الفكر والفلسفة عند عبد الله شريط الجزائري. مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، 2(2)، الصفحات 75-84.

*زغو محمد. (1 جويلية, 2010). أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب. مجلة الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج2(2ع)، الصفحات 93-101.

*شهرة درسوني. (10 افريل, 2020). اشكالية الهوية، جدل بين الأنا والآخر عبد الله شريط نموذجاً. مجلة متون، مج13(العدد2)، الصفحات 89-102.

*صمويل هنتجتون. (2009). من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أمريكا (ط1). (أحمد مختار الجمال، المترجمون) القاهرة(مصر): المركز القومي للترجمة.

- *عبد القادر حمداوي. (18 نوفمبر، 2019). الدكتور عبد الله شريط المفكر الرائد. *جريدة الشعب الجزائرية*.
- *عبد الله شريط . (1981). *من واقع الثقافة الجزائرية (ط2)*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- *عبد الله شريط. (1975). *الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون (ط2)*. الجزائر: المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع.
- *عبد الله شريط. (1984). *نظرية حول السياسة، التعريب والتعليم (ط1)*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- *علوط الباتول، و بن قومار كريمة. (17 جوان، 2018). الهوية من الفردي إلى الجماعي. *مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، مج 11 (2)*، الصفحات 168-182.
- *مجموعة من المؤلفين. (2008). *الأستاذ عبد الله شريط خصال، منهاج وأفكار (د.ط)*. الجزائر: سلسلة منشورات الجيب، المجلس الوطني للغة العربية.
- *محمد ضياء الدين خليل ابراهيم. (15 سبتمبر، 2016). *اللغة العربية والتحديات المعاصرة. مجلة الباحث، مج 2 (العدد 14)*، الصفحات 1-26.
- *محمد عمارة. (1998). *الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة؟ أم تفتت واختراق؟ (ط1)*. مصر: نهضة مصر للنشر والتوزيع.
- *محمد عمارة. (1998). *الحملة الفرنسية في الميزان (ط1)*. القاهرة، مصر: نهضة مصر للنشر والتوزيع.
- *محمد عمارة. (1999). *مخاطر العولمة على الهوية الثقافية (ط1)*. مصر: دار النهضة للطباعة والنشر.
- *محمود سمير المنير. (2000). *العولمة وعالم بلا هوية (ط1)*. مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع.